ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة التواصلية
ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537
HTTPS://WWW.ASJP.CERIST.DZ/EN/PRESENTATIONREVUE/294
المجلد: 10العدد: 01(2024) ص53/70

دراسة روايةِ "ما تبقى لكم" لغسان كنفاني في ضوء النقد البنيوي التكويني

The study of Ghassan Kanafani's novel "Ma tabaqqa lakom" Evolutionary structural critique

أمين نظري تريزي*	حسن نجفي
جامعة شيراز (إيران)	جامعة أصفهان (إيران)
aminnazari@saadi.shirazu.ac.ir	Hasannajafi2012@yahoo.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2024/02/04
تاريخ القبول: 2024/02/20

الكلمات المفتاحية:
- ✓ غولدمان:
- ✓ الرواية:
- ✓ غسان كنفاني:
- ✓ ما تبقى لكم:

الملخص:

يقوم هذا البحث بكشف اللثام عن مرحلتي الفهم والتّفسير في رواية "ما تبقى لكم" لغسّان كنفاني مستخدماً آراء أصحاب النقد البنيوي التكويني. فيما يتعلّق بنتائج المقالة فإننا نستطيع أن نعتبر رواية ما تبقي لكم رواية تغيير واحتجاج لأنّ الغسان منح فرصة لشخصيات القصة لكي يُعبّروا عن أنفسهم. مباني الرواية الأساسية بما فيها المكان، الزّمن، الشّخصيات والأحداث كانت في خدمة كليّة الرواية أي معالجة القضية الفلسطينية والانتفاضة الحجرية. بنيات الرّواية هي بنيات نمطية ونموذجية.

Article info

Received 04/02/2024
Accepted 20/02/2024

Keywords:
- ✓ *Goldman:*
- ✓ *Novel:*
- ✓ *Ghassan Kanafani:*

Abstract :

This research aims to study the stages of understanding and interpretation in the Ghassan Kanafani's novel "Ma tabaqqa lakom", using the opinions of the authors of structural structural criticism, Regarding the results of the article, we can consider What Leaves for You a novel of change and protest because Al-Ghassan gave the story's characters an opportunity to express themselves. The basic buildings of the novel, including place, time, characters, and events, were in the

*أمين نظري تريزي

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

service of the novel's entirety, The structures of the novel are typical and typical structures.	✓ *Ma tabaqqa lakom:*

1. مقدمة:

يرجّح منظرو علم اجتماع الأدب ومنتقدوه منهم ماركس، جورج لوكاتش ولوسين غولدمان أنّ العمل الفنّي خاصّةً الرواية تُمثِّل الوَعي الجَماعي. بعبارة أخرى يلعب الفنّان الروائي دور المدوّن والمنسّق لهذا الوعي في الأعمال الأدبية كظاهرة أدبية. هذا والنقد الاجتماعي يدرسُ العلاقةَ الديالكتيكية الجدلية بينَ النّصِّ الأدبي في الأعمال الأدبية من جهة والظروف الاجتماعية–التاريخية المنتهية إلى ظهور العمل الفني من جهة أخرى. أصحاب هذا النقد يَرون أنّ المُلهم الغائي الذي يُبدع الإنتاجات الثقافية والأدبية يكمن في الفاعل الجماعي لذلك ليس الروائي سوى ممثّل لهم ولرؤيتهم الكونية. الدّراسات الاجتماعية تُقدِّمُ العناصر الأدبية كظاهرة اجتماعية دون الفردية حيث يرون: «أنّ الروائي يقوم بتوحيد أفكار المجموعة المنتمية إليها مستخدماً وعيه الممكن؛ مهمّة المنتقد البنيويّ تتبَلور في اكتشاف هذا الاتّساق القائم بين كلية العمل الأدبي مع الظروف التاريخية وتحليله»[1] من هنا نواجه المصطلحين الهامَّين هما الكشف والتفسير: أصحاب النقد البنيوي يسمون الاكتشاف عن الكلية والبنية الدلالية الداخلية للموضوع والنّص باسم الفهم وتحليل هذه المبادئ والبنية الداخلية في جوف الظروف التاريخية باسم التفسير. «الفهم داخليٌ وهو نوع من التّحليل، بينما التّفسير خارجي ويكون خارجاً من التّحليل. التفسير يشمل السّياق التّاريخي الاجتماعي والثقافي لِبُنية العمل الأدبي».[2]

تعتبر القضية الفلسطينية من أولى وأهم القضايا في الأدب العربي الحديث حيث ليس مجرد عرض صور وسرد قصص بل له مهمة المقاومة والدفاع والصمود، لذا مال أصحاب الفكر بمن فيهم الكتّاب والشعراء نحوها صامدين أمام الكيان الصهيوني في أرضها، بسلاح اللُّغة العربية، وفنونها، وآدابها. هذا وإنّ أصحاب النقد اتّخذوا مناهجاً جديداً لنقد وتفسير الأعمال الفنية الأدبية في العالم العربي. منها المنهج الاجتماعي بمدارسها المتنوعة خاصة البنيوية التكوينية التي تصل جذورها إلى «هيمنة الاتجاهات اليسارية الماركسية تحديداً في أكثر البيئات النقدية العربية»[3]. لذا بعد نكبة ١٩٤٨م، تحركت أقلام الكتاب والشعراء للدفاع عن فلسطين تاريخياً وفكرياً، وإلى الفكرة اليسارية منهجاً وأسلوباً. كُتبت روايات كثيرة، جسدت واقع يوميات الفلسطيني وما يعانيه في وطنه إلّا إنه لم يكن عالماً خيالياً بعيداً عن الواقع، بل كان يرتبط مباشرة بالواقع الاجتماعي الذي جرّبه الكاتب وذاق طعم مرارته.

غسان كنفاني (1936–1972) الروائي المتجدد الحديث الفلسطيني الّذي أعماله الأدبية متجذرة في عمق الثقافة العربية والفلسطينية. كتب ليقترب من الإنسان الفلسطيني الذي يعي أسباب نكبته حيث سرد تجربته الشخصية التي تماهت مع

---

[1] . نجفي، حسن، أصلاني، سردار، (1399ش)، دراسة اجتماعية لرواية حفّار القبور الشعرية من بدر شاكر السياب (البنيوي التكويني)، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدبها، العدد56، ص44.

[2] . ارشاد، فرهنگ، (1394ش)،كندوكاوى در جامعهشناسى ادبيات، طهران: نشر آگه، ص 315.

[3] . الرويلي، ميجان والبازغي، سعد، (2002)، دليل الناقد الأدبي، المغرب: الدار البيضاء. ص 79.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

التجربة الجمعية. له روايات كثيرة منها رواية ماتبقى لكم وهي روايته الثانية التي يسرد فيها المشاكل السّاحقة للمتشرّدين الفلسطينين في غضون تكوين التشكيلات العسكرية حيث «أسفر عن الصدام الذي حصل بين العرب، واليهود؛ وتحت ضغط الظروف، والإرهاب الذي تم فيه إخراج العائلات الفلسطينيات وتشتت الأسرة»[1]. وقد أبدع كنفاني صورة مُبتكرة للمجتمع الفلسطيني بخَلق الانسجام والتّوازن بين كليَة العمل الأدبي والظروف السائدة على المجتمع. بما أنّ البنيوية التوليدية ترمي إلى «إقامة التّوازن بينَ العالَم الخارجي (تفسير) والعالم الدّاخلي (فهم)، إنّ هذا التّوازن يَتبَدّل من مُجتمع إلى آخر ومِن حقبة زمنية إلى أخرى»[2] فروايةُ ماتبقى لكم تحظى بمكانة خاصة في الأدب الفلسطيني حيث تومئُ إلى تصوير وطرح فلسفات عميقة حول معنى الوطن والهوية وتعبّر بواقعية عن معاناة يومية، لا يلقي لها العالم بالاً. وهذا ما يتطلّب دراسة رواية ما تبقى لكم مِن منظارِ البنيويّةِ التكوينيةِ. إذَن هذا البحث يسعى إلى كشف العلاقة الدلاليّة القائمة بين كليَة رواية ما تبقى لكم والعلاقات الإجتماعية والرّؤية العالميّة في زمن خلق العمل؛ بالتركيز على آراء جورج لوكاتش ولوسيان غولدمن كنهج نقدي لِمعالجة ونقد رواية ما تبقى لكم؛ واكتشاف أهم القضايا الفلسطينية المنعكسة في هذه الرواية وموقف غسان كفاني تجاهها.

للوصول إلى الأهداف المذكورة في الأعلى يحاول البحث الحالي الإجابة عن السؤالين التاليين:

–ما هي العلاقة القائمة بين نظرة غسان كنفاني الكونية ودلالات وكلّيّة رواية ما تبقى لكم؟

– ما هي أهم القضايا الفلسطينية المنعكسة في رواية ما تبقى لكم وموضع الكاتب تجاهها؟

يحاول هذا البحث بناء على المنهج الوصفي – التحليلي تحليل رواية "الباب المفتوح" تحليلاً سردياً، يعالج أركان عملية السرد من شخصيات و أحداث سردية والأسلوب ومكان الحدث وزمانه، ليبين القيمة الفنيّة والجمالية لهذه الرواية معتمداً أدوات منهجية حديثة حسب النظرة البنائية.

بما أنّ الدّراسة الحالية ترمي إلى اكتشاف ونقد رواية ما تبقى لكم لغسان كنفاني من منظار النقد البنيوي التوليدي، فيما يلي هناك بعضُ الأبحاث والدّراسات الّتي ترتبط ارتباطاً قريباً بالبحث الحالي:

«دراسة قصيدةِ "المومس العمياء" لبدر شاكر السياب مِن منظارِ النّقدِ البنيوي التكويني» عنوانُ مقالةٍ كتبها حسن نجفي وسردار أصلاني وتمّ نشرها في مجلّة اللغة العربية وآدابها (فصلية محكمة) السنة الثالثة عام 1392 ش. تعتبر هذه المقالة من النماذج التطبيقية في مجال النقد البنيوي التكويني في الأدب العربي المعاصر.

تعتبر مقالة سعيدة ميرحق وفاطمة علينجاد تحت عنوان «دراسة في رواية ما تبقى لكم لغسان كنفاني» المطبوعة بمجلة التراث الأدبي سنة 1389ش من الأعمال التي ألقت نظرة كلية على الرواية دون اتخاذ منهج نقدي حيث لخصت الرواية مشيرةً إلى الرموز الكامنة وشخصيات الرواية.

«تجليات الانطباعية فى رواية "ما تبقى لكم" لغسان كنفاني» عنوان مقال تم نشره في مجلة نقد ادب معاصر عربي يزد بقلم أحمدرضا صاعدي عام 1392ش. مؤلف المقال عالجت الزمن بناءً على التيار اللاوعي للذهن.

---

[1] . ميرحق، سعيدى وعلينجاد فاطمة، (1389ش)، دراسة في رواية ما تبقى لكم لغسان كنفاني، مجلة التراث الأدبي، السنة 2، العدد 6، ص 150.

[1] . المسدي، عبد السلام، (1991)، قضية البنيوية دراسة ونماذج. تونس: وزارة الثقافة، ص 208.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بناء على ما سبق، لم تنشر بعد أطروحة أو كتاب أو مقال عن أعمال غسان كنفاني في سياق النّقد البنيويّ التّكويني؛ فلهذا يحاول هذا البحث التركيز على ما لم يعن به الباحثون.

2. الإطار النظري للبحث:

1.2 البنيوية التكوينية:

تُعتَبر البنيوية التكوينية طريقة إتخذها لوسيان غولدمان وجورج لوكاتش في النقد الماركسي للفن والأدب. الفكرة التي تعتقد بأنّ داخل المجتمع هو الملهم الحقيقي لكلّ التفكيرات في العلوم الإنسانية، دون الخارج. لذلك لا يستطيع ناقد الأعمال الأدبية أن يلقي نظرة دقيقة على العمل الأدبي وإبداعه دون أن يتمعّن في المجتمع باعتباره المبدع والملهم الحقيقي للعمل الأدبي. بعبارة أخرى تنتمي جذور البنيوية التكوينية إلى هذه الجملة من غولدمان التي تقول «بأن كل سلوك إنساني محاولةٌ لإعطاء إجابة ذات معنى لحالة معينة، وفي الوقت نفسه، فإنه يميل إلى تحقيق توازن بين موضوع الفعل والموضوع الذي يرتبط به الفعل، أي العالم حول البشر»[1] إذن يولي أصحاب هذه النظرية اهتماماً خاصاً بمعالجة العلاقة القائمة بين المجتمع والفن خاصة الأدب مستخدمين هذه الأصول الأربعة التالية: «1. ترتبط العلاقة بين الحياة الاجتماعية والعمل الفني بالوعي الاجتماعي 2. لا يمكن للفرد (الفنان) أن يكون مبدع عمل فني بمفرده، لذلك يكون مؤلف العمل الأدبي للموضوع هو الفاعل الجماعي 3. إن العلاقةَ بين البنية الثقافية للطبقة الاجتماعية وبنية العمل الأدبي علاقة دلالية، وهناك تناسق بينهما 4. تعتبر وحدة وتماسك العمل الأدبي ميزة فريدة في أسلوب البنيوية التكوينية، كلما تكون العلاقة بين وعي المجموعة الاجتماعية والرؤية للعالم في العمل الفني أكثر دقة، يكون العمل الأدبي أكثر تماسكًا».[2] أهم المفاهيم وأكثرها شيوعاً في البنيوية التكوينية مفاهيم الرؤية للعالم، البنية الدالّة، الفهم والتفسير. فيما يلي نشرحها:

1.1.2 الرؤية للعالم

الجوهر الأساسي في العمل الإبداعي لايرجع إلى إمكانات الفرد المبدع وقدراته العقلية والفنية وحسب، بل «يرتبط بشكلٍ حاسم بما يطلق المجموع الاجتماعي من مقولات فكرية وقدرات اجتماعية واعية، في شكل بنية شاملة أو ضامةٍ، اتفق على تسميتها بالرؤية إلي العالم أو الرؤية الكونية»[3] وبناء على رأي غولدمان في تعريف وتقديم الرؤية للعالم التي أخذها من أستاذه الشاب جورج لوكاتش «هي مجموعة من الأفكار التي تفرض نفسها في بعض الشروط على زمرة من الناس الذين يعيشون في أوضاع اقتصادية واجتماعية متشابهة أي على الطبقات الاجتماعية»[4] لذا، يمكننا أن نقول إن الرؤية للعالم هي نفس الوعي الطبقي أو الوعي الجماعي الذي كان لوكاتش قد طرحه سابقاً. إذن، الرؤية للعالم هي مجموعة من الأفكار والتفكيرات

---

[1] . غولدمان، لوسيان، (1381ش)، جامعه شناسى ادبيات (دفاع از جامعه شناسى رمان)، ترجمة محمد جعفر پوينده، طهران: نشرچشمه، ص 290.

[2] . نجفي، حسن، أصلاني، سردار، (2020)، دراسة قصيدة المومس العمياء من منظار النقد البنيوي التكويني، مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة 16، العدد 2، ص 210.

[3] . أبوجهجه، خليل ذياب، (2004)، الرؤية الكونية في أدب ميخائيل نعيمة، بيروت: اتحاد الكتاب اللبنانيين، ص 11.

[4] . غولدمان، لوسيان، (1382ش)، نقد تكوينى، طهران: مؤسسه انتشارات دانشگاه، ص 251.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

التي تُوحِّد أعضاء المجموعة وأفراد الطبقة حيث تُمَيِّزُهم من مجموعة أو طبقة أخرى. وحدة وتنسيق أي عمل أدبي يعتمد بشكل كبير على هذه النظرة للعالم.

2.1.2 البنية الدلالية

البنية الدلالية تعني شمولية الظاهرة الاجتماعية في العمل الفني والإبداعي حيث تساعدنا هذه البنية على فهم العمل الأدبى وتفسيره و«لا تكون البنية الدلالية حاضرة في فكر جميع أفراد المجموعة البشرية، فإنّها لاتتحقق إلّا بشكلٍ استثنائي عن طريق الفكر العلمي أو الفلسفي أو عن طريق العمل الاجتماعي أو العمل الفنّي الّذي يقوم به أفراد متميّزون أمثال كانت، نابليون وراسين»[1] وإن كلّ عمل أدبي يحظي بوحدة داخلية بحيث يستحيل للباحث أن يفهم زاوية من زوايا النص الأدبي دون ارتباطها إلى مجمل العلاقات و يرى غولدمان أنّنا لا نستطيع أن نفهم البنية الدلالية بشكل معمق إلّا إذا ربطناها ببنى أوسع كالبنى الذهنية ورؤي الطبقات الإجتماعية للعالم و البنية الاجتماعية الاقتصادية التي تفرزها حقبة تاريخية معينة.

3.1.2 الفهم والتفسير

إنّ الفهم يتعلّق بالتماسك الباطني للنصّ وهو يفترض أن نتناول النص حرفياً ولا شيء غير النص. وأن نبحث داخله عن بنية شاملة ذات دلالة. أمّا التفسير «فمسألة تتعلق بالبحث في الذات الفردية أو الجماعية التي تمتلك البنية الذهنية المنتظمة للعمل الأدبي. هكذا يبدو الفهم والتفسير غير متعارضَينِ؛ آية ذلك أنّ الفهم يكمن في الوصف الدقيق لبنية ذات دلالة، أو هو الكشف عن بنية دالّة محايثة للموضوع المدروس. أما التفسير فهو أدراج هذه البنية من حيث هي عناصر مكوِّن ووظيفي، في بنية شاملة مباشرة لا يسبرها الباحث بطريقة مفصّلة وإنّما بالقدر الضروري لجعل تكوين العمل الذي يدرسه مفهوماً»[2] يمكن تعريف وتقديم الفهم والتفسير بشكل موجز في كلام غولدمان حيث يبين رأيه قائلاً: «يبدو الفهم بالنسبة إلينا طريقة ذهنية تكمن في الوصف الدقيق ما أمكن لبنية ذات دلالة؛ أي وصف العلاقات المكوّنة لبنية دلالية مع التقيد بالنّص من دون تخطي حدوده. بينما التفسير هو إدراج بنية دلالية ضمن أخرى أكبر منها، تكون عنصراً مشاركاً في تكوينها، بعبارة أخرى هو إنارة البنية الذهنية للنص في ضوء عناصر خارجية».[3]

3. تحليل الرواية:

1.3 الفهم:

تدور الرواية حول أسرة فلسطينية نُزحت إلى غزة من مدينة يافا بعد استيلاء اليهود عليها مما يؤدّي إلى تفتت الأسرة في غياب الأب الشهيد والأمّ المشردة في الأردن. الشخصية الرئيسية الشابة في الرواية هو حامد الذي يكافح ومأساة النزوح عام 1948م مع صغر سنّه حيث يترك غزة متجهاً نحو الأردن ليلحق بأمه هناك. وكانت الشخصية الثانية هي مريم أخت حامد، الّتي تمّ اغتصابها بواسطة زكريا وضاعت أحلامها وأرضها وتزوّجت من الشخصية الثالثة هو الخائن زكريا الّذي دلّ

---

[1] . زيما، پير، (1377م)، جامعه شناسى رمان از نظرگاه گلدمن درآمدى بر جامعه شناسى ادبيات، طهران: انتشارات نقش جهان، ص 43.

[2] . الموسى، أنور عبد الحميد، (2011)، علم الاجتماع الأدبي، بيروت: دارالنهضة، ص 226.

[3] . غولدمان، لوسيان، (1988)، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية لبنان، ص 48.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الجنود الصهاينة على مكان الفدائي سالم واستغلّ غياب حامد عن البيت ليغتصب أخته مريم. وتنتهي الرواية بمقاتلة حامد الجنود الصهيوني في صحراء وفي نفس الزّمن يُقتَل زكريا على يد مريم مع بزوغ الفجر. تبدو شخصيتا حامد، ومريم رمزاً للشعب الفلسطيني المستضعف، الذي يبحث عن الاكتفاء الذّاتي، متكئاً على نفسه وقدراته الجهادية المستقاة من الوعي والثورة ضد الأعداء الصّهيوني المغتصب.

1.1.3 الشخصيات:

أ. حامد:

حامد من الشخصيات الرئيسة الّذي يلعب دوراً هامّاً في سرد الرواية ويُعاني من آلام منها تفكّك الأسرة، واغتصاب الأرض واستشهاد الأعزاء بيد الصّهاينة. ملامحه تذكّرنا بالشّخصيات النّامية الّذى يخضع لتغييرات مستمرة مع تصعيد الحبكة. إذن تتعرّض شخصيتُه في سردِ هذه القصة أمام التغييرات المؤدّية إلى الوعي لأنّ «الشخصية النامية، مرتبطة بالظرف الحياتي وتتميز بقدرتها على التطّور مع تاريخ وأسلوب الأحداث»[1] حيث تتطوّر شخصية حامد وتنمو إلى الوعي في الصحراء: «وفجأة ذاب الخوف وسقط، ولم يعد ثمّة إلّا هو والمخلوق الموجود معه، تحته وفيه، يتنفّس بسفير مسموع ويسبح بجلال».[2] استخدم كنفاني شخصية حامد النامية الواعية لانعكاس حالة الشعب الفلسطيني الّذي أصبح مجبراً على أن يخوض معركة الخلاص. الشعب الذي تسوقُه الظّروف المأساوية السائدة على فلسطين والبلدان العربي إلى الانتفاضة. كما أنّ كنفاني يحاولُ مِن خلال شخصية حامد أن يخلق عالماً جديداً يحقّق فيه أميال الشعب الفلسطيني ويرسم لهم خريطه مستقبلهم حيث «يرى غسان، أن كل محاولة لبلوغ الطهر الفلسطيني لابد لها من العبور بفلسطين المحتلة»[3] ولخلق شخصيات كهذا دور هام في تصعيد وتحريك الشعب الفسطيني المكبّل تحت وطأءة الكيان الصهيوني لأنّ «الشخصية النامية بعيدة عن الجمود وتكون ملتصقة بصفة الحيوية»[4]: «كان صغيراً وشجاعاً بصورة لا تصدّق، وقد ظلّ ينظر بعينيه الحادّتين إلى كلّ الرّجال نظرة الند، وهو ملتصق فيّ كأنّه درع صغير من الفولاذ يرصد سنّ الرّمح».[5]

ترمز شخصية حامد للإنسان المشرّد الذي تغيّر مفهوم الحياة له حيث أدى تفكيك الأسرة، واحتلال الوطن واستشهاد الأعزاء ألى أن يواجه الحياة بعين حادة تسوقه نحو المكافحة ضد الخونة الذين يمثّلهم زكريا. وقد استخدم كنفاني التبئير وتيار اللّاوعي للذهن ليكشف اللّثامَ عما يدور في خلد حامد. بعبارة أخرى وإن الراوي الكلي المعرفة، يستخدم التبئير والتركيز ليركّب رؤيته مع رؤية الشخصية. الظاهرة الّتي سماها باختين «بتركيب الأصوات ليبرز آراء الشخصية في كلام الراوي».[6]

---

[1] . إجماهيري، مصطفى، (1992)، الشخصية في القصّة القصيرة، مجلة الموقف الأدبي، العدد 59، ص 127.

[2] . كنفاني، غسان، (2014)، ما تبقى لكم. قبرص: دار منشورات الرمال، ص 16.

[3] . ميرحق، سعيدى وعلينجاد فاطمة، (1389ش)، دراسة في رواية ما تبقى لكم لغسان كنفاني. مجلة التراث الأدبي، السنة 2، العدد 6، ص 162.

[4] . المحاسنة، إبراهيم أحمد، (2007م)، بنية الشخصية في أعمال مؤنس الرزاز الروائية دراسة في ضوء المناهج الحديثة، أطروحة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤتة، الأردن، ص 231.

[5] . كنفاني، (2014)، ص 36.

[6] . باختين، ميخائيل، (1987)، الخطاب الرّوائي، ترجمة محمد برادة، القاهرة: دارالفكر، ص 15.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

تمثلت هذه الظاهرة في موقف حامد السلبي تجاه صهره الخائن: «كان ضئيلا بشعا كالقرد أسم زكريا»[1] «الكلب الذي سيصبح صهره يجلس بجانبه» و«من وراءها نبح الكلب زكريا».[2]

فيما مضى فهمنا أن شخصيةَ حامد شخصيةٌ نامية متغيرة واعية تدلّ على الجيل الفسلطيني الذي جرّب التشرّد والدمار والحرب حيث أدت هذه الظروف إلى مواجهة الحياة و قساوتها متّكئاً على نفسه دون الأخرين: «أنّه كان أصغر من أن يقتحم الصحراء وحده، ولكنّه اكتشف بنفسه تفاهة الموضوع الذي سمح له أن يتغلّب على عقله».[3]

ب. مريم:

في هذه الرّوايةِ، تكون شخصية مريم من الشّخصيّات المَركزيّة الّتي كانت مصابة بالاغتراب ثم تتغير وتدرك الظروف السائدة وتصل إلى الوعي. إذن نستطيع أن نعتبرها شخصية نامية متغيرة. في بداية الرواية تصاب بالاغتراب فتعطي عفافها لزكريا الخائنة حصيلة الجهل الذي يحيطها دون أن تعرف قدرها الإنساني لأنَّ في البلدان المحتلَّة «الجهل والغفلة عن الكرامة الإنسانية تؤدّي إلى الاغتراب».[4] مريم فتاة عاشت ردحاً من الزمن مع أسرتها لكن أباه استشهد إثر الهجوم الصهيوني تفككّت أسرتها وهاجرت من يافا إلى الغزة دون الأم واضطرّت للزّواج من الخائن زكريا لكنه بعد أن فقد أخاه الأصغر من أجل فضاحتها تنبّهت وقامت بقتل زكريا في المطبخ: «لم أعرف لماذا مررت ذلك المساء من أمام المقهى ولماذا أبطأتُ حتى يسّرتُ لك أن تراني وتلحق بي، ولم أعرف قط أنّ تلك اللحظة الصغيرة ستصل بي إلى سريرك».[5]

قصة فضاحة مريم قصة فضاحة الأرض المحتلة الّتي تكشف السّتار عن الظّلم الواقِع على الفلسطين مع تفكك الخلافة الإسلامية بلداناً صغيرة وكبيرة في أمصار الشرق الأوسط والعالم العربي دون أن يولو اهتماماً بالشعب الفلسطيني وقبلتهم المقدسة. شخصية سليمة استعارة عن أرض فلسطين الّتي تَمّ احتلالها ونهب ثرواتها ومواردها من قِبَل الصّهاينة المُحتَلّين حيث يتجلى في أقوال زكريا التمثيلية: «أنتِ أرض خصبة أيتها الشيطانة أرض خصبة، أقول لك. أرض خصبة مزروعة بالوهم والمجهول تتكسر كل أنصال الفولاذ في العالم».[6]

بينما تَقع مريم فريسة بين أيدي الخونة الفلسطينيين بسبب الجهل وعدم وعيها، فإنّ هجرة حامد –الممثّل للجيل القادم الفلسطيني– نحو الأمن ودفء الأسرة تسوق الشخصية نحو الوعي مما يجعل من شخصية مريم متصلة بعنصر الدراما الذي يجسد في الصراع مع ذاتها في البداية حتّى ينتهي اللصراع مع العدوّ، لأنّه في الشخصية النامية «كلّما كان الصراع قوياً واضحاً كانت الرواية أنجح وأكثر عمقاً».[7] لذا هي الشخصية النشيطة الّتي تواجه الأحداث بالصراع. ولا تخضع لإرادة

---

[1] . كنفاني، غسان، (2014)، ص 85.

[2] . المصدر نفسه، ص 88-89.

[3] . المصدر نفسه، ص 19.

[4] . جعفري هرندی، يعقوب، (1400ش)، بررسی منشأ از خود بيگانگی حقيقی از منظر عقل و نقل، المؤتمر الدولي السادس للعلوم الإسلامية والبحوث الدينية. طهران، ص 7.

[5] . كنفاني، غسان، (2014)، ص 22.

[6] . المصدر نفسه، ص 31.

[7] . ركيبي، عبدالله خليفه، (1977)، القصة الجزائرية القصيرة، ليبيا: دار العربية للكتّاب، ص46.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

البيئة في استكانة دون اختيار: «لا تقل لي ذلك حتّى لو فكّرت به فأنا خائفة منه إلى درجة ربّما أجرؤ فيها على القضاء عليه، عارى. لكنه يا زكريا، عارى الوحيد في خمس و ثلاثين سنة طاهرة و مخزونة».[1]

ج. زكريا:

شخصية سلبية عديمة الإرادة لأن الاستكانة طغت على سلوكه فأصبح عنصراً جامداً منقاداً يتلقي الأحداث كما تجيئه فيضرّ بالأخرين بما فيهم المجاهدين وأصدقائه ووطنه. لأن «هذه الشخصيات-السلبية- غالباً ما يكونون الأقلّ حظاً في المشاركة في تنامي الحدث الرّوائي من أجل انخذالهم»[2] حيث نرى كنفاني يصوّره نائماً غرق في ضلالته، لأنّ سلوكه ليس مرغوباً لدى المجتمع الفلسطيني المشرد: «فانقلب زكريا على جنبه ونظر إليّ، ثم عاد فنام مرة أخرى كأنّه اعتقد أنّه هو الآخر مستغرق في حلم جنوني».[3]

فمن الزاوية الأخلاقية والإنسانية أيضاً يُعتبر أداة لتنفيذ سياسات الصهاينة مع أنّه من أبناء الوطن. وبما أن لوكاتش يرى أنّ «الشخصية ليست صورة لفرد معين، بل نموذج يتلقّى فيها العام بالخاص»[4] إلّا أنّ شخصية زكريا يمثّل قلة من الفلسطينيين الذين استكانوا للكيان الصهيوني وسياساتهم القمعية. حيث كانوا يساعدون العدو في فرض السلطة القمعية. لذا نشاهد زكريا يساعد الجندي الإسرائيلي للعثور على المجاهد الفلسطيني سالم: «قال الجندي –إذا كنتم تصرون على إخفاء هذا الفتى إلى ذلك الحدّ فلتذهبوا جميعاً إلى جهنّم وفي اللحظة التالية تماماً اندفع زكريا خارج الصف وأخذ يصيح: أنا أدلّكم على سالم».[5]

يغتصب زكريا أخت صديقه مريم في غياب حامد عن البيت ويلوّثها بشرفها. بناء على أنّ للمعنى فِي الرواية مستويات مختلفة ونظراً لدور مريم الاستعاري في هذه الرواية حيث «تعتبر المرأة الفلسطيني صورة لمفهوم الوطن»[6] نستطيع أن ننّخذ قتل زكريا بيد مريم الذي تنتهي به الرواية يرمز إلى الشعب والوطن الفلسطيني عندما تثور على مغتصبيها ويثأر لدماء الشهداء: «لقد تركته يلوّثها، أعطته نفسها في ربع ساعة مسروقة منه، وحين زرع الطفل في رحمها قال لحامد: أنت حر، زوّجنيها أو لا تفعل، فلستُ أنا الذي يخسر».[7]

---

[1] . كنفاني، غسان، (2014)، ص 31.

[2] . المحاسنة، إبراهيم أحمد، (2007م)، بنية الشخصية في أعمال مؤنس الرزاز الروائية دراسة في ضوء المناهج الحديثة، أطروحة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤتة، الأردن، ص 226.

[3] . كنفاني، غسان، (2014)، ص 63.

[4] . كلر، جونو ثان، (1986)، البنيوية وبناء الشخصية في الرواية، ترجمة محمد درويش، مجلة الأقلام العراقية، العدد 6، ص 72.

[5] . كنفاني، غسان، (2014)، ص 26.

[6] . الصالح، نضال، (2004)، نشيد الزيتون، قضية الأرض في الرواية الفلسطيني، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص 52.

[7] . كنفاني، غسان، (2014)، ص 14.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

د. الأم:

تعتبر من الشخصيات المجهولة في الرواية والّتي لا تتوفّر تفاصيل واضحة جمة عنها لأنّها من الشخصيات الثانوية التي تسير على مستوى واحد «تلقي الضوء على الشخصيات المركزية وتكشف عن أبعادها»[1] لذلك نراها الشخصية الغائبة الحاضرة في الرواية. غائبة لأنها لا تدخل مباشرةً في الوقائع، حاضرة لأنّ حامداً بصفته الشخصية المركزية– يكافح الظروف القاسية من أجل الوصول إلى الأم التي انفصلت عن أولادها عندما كانوا يعبرون البحر بالقارب: «ولكن أين أمّك؟ – تُركت على الشاطئ وستلحق بنا».[2]

يبدو أنّ شخصية الأم ترمز للقادة السياسيين العرب والمسلم التي كانت تتجلى فى الخلافة العثمانية آنذاك – كأم هي مسؤولة عن الأسرة والأولاد – لا يهتمّون بقضية الفلسطين بسبب تفكيك وتفرّق الخلافة الإسلامية إلى بلدان صغيره كل واحد منها غارقة في مشاكلها الداخلية. ربّما يريد كنفاني أن يشير إلى أنّ الأمل باجتماع الأمة الاسلامية المتحدة هي نقطة الضوء الوحيدة التي يقلّبها الشّعب الفلسطيني في خلدهم بغية الخلاص عن العدوّ الصّهيوني لذا نشاهد شخصيتا حامد ومريم تذكران أمّهما بالحسرة مع الأمل بالوصول إلى حضنها: «–لقد كنتِ كلَّ شيءٍ وأنتِ ملطّخة وأنا مخدوع.. لو كانت أمّك هنا. وأمّه لم تكن هناك أبدا، على بعد ساعات من المشي»[3] «لو كانت أمّ هنا لكان لجأ إليها، للجأت إليها أنا، لقلنا كلمة واحدة عنه. لما تركنا لدفتيّ الباب الخشبيتين أن تمحواه —حامداً– من هذا البيت بمجرد انغلاقهما».[4]

1.1.3 المكان:

المكان من العناصر الهامّة في تكوين وبناء الشخصيات والزمن والأحداث. لأنّ الشخصيات تتحرّك في الفضاء والحيّز المكاني للرّواية. وهكذا يلعب المكان تَفاعلاً بنيوياً لإنشاء العلاقة الوطيدة بين رؤية السارد الكونية والبنيات الدّلالية للرّواية. بما أنّ الجدلية القائمة بين الركود والتغيير تسود الفضاء الكلّي لهذه الرواية، يحمل المكان علامات الوعي والانتفاضة ممّا يجعله منسجماً مع البنية الرواية الدّلالية.

أ. الصحراء:

من الأماكن الأصلية المفتوحة في الرواية وعنوان الرواية "ما تبقّى لكم" أوّل مؤشر يدلّ على الصحراء حيث العنوان يركّز على كونه علامةً وبنيةً أصلية للنّص، لأنّ العنوان يتكوّن من علامةٍ دالةٍ على المكان ليعطي المكان دور المنسق لبنيات النّص إذ نشاهد حامداً يخاطب الصحراء قائلاً: «ليس بمقدوري أن أكرهك، ولكن هل سأحبّك؟ إنني أختار حبّك، إنّني مجبر على اختيار حبّك، ليس ثمّة من تبقى لي غيرك»[5] يجدر بالإشارة إلى أن دور الصحراء في الرواية لا يقتصر على كونه مكاناً مفتوحاً بل يتعدّى ذلك الحد إلى دور الراوي الذي يسرد قسماً من الرواية وهذا ما جعل الرواية من النوع الجديد لأن

---

[1] . السعافين، إبراهيم، (1987)، تطور الرواية العربية في بلاد الشام، بيروت: دار المناهل، ص 436.

[2] . كنفاني، غسان، (2014)، ص 35.

[3] . المصدر نفسه، ص 12.

[4] . المصدر نفسه، ص19.

[5] . المصدر نفسه، ص 17.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الصحراء في ما تبقى لكم يُعتَبر من الشخصيات الأصلية للرواية مع ذلك تلعب الصحراء دوراً نشيطاً في تكوين شخصية حامد لوصوله إلى الوعي وبيان عواطفه لأنّ «سطوة المكان تتعدّى في الواقع من التأثيرات وفاعليتها المباشرة إلى أعماق التكوين «النفسي للشخصيات»[1] و هذا ما أشار إليه كنفاني حين يصف عواطف حامد عندما يلقي بنفسه على سطح الصحراء مثل عواطف الطفل تجاه أمّه أو العاشق أمام حبيبته: «دون أن ينتابه خوفٌ أو تردّدٌ استلقي على الأرض وأحسّ بها تحته ترتعش كعذراء ومرر شفتيه فوق التراب الدافئ. ليس بمقدوري أن أكرهك، إنني أختار حبّك».[2]

نظراً للمستويات المختلفة الّتي تتضمنُها الروايات الجديدة معنىً، يمكن القولُ بأنّ الصحراء بما يجري فيها يرمز بمفهوم الوطن الذي تجري فيه عملية الوعي والانتفاضة ضد العدو. إذن تكون الصحراء مكاناً مفتوحاً ملهماً أثّر على الشخصية دون التأثّر: «وفجأة ذاب الخوف وسقط، ولم يعد ثمّة إلّا هو والمخلوق الموجود معه، تحته وفيه، يتنفّس بسفير مسموع ويسبح بجلال».[3]

ب. يافا:

بما أنّ صورة يافا تتجلى في ذكريات حامد ومريم حيث قضت أسرتهما أحلى أيّامهم فيها قبل الهجمة الصّهيونية، قد ارتبط المكان –يافا– بالبعد الزمني للرواية والذي يُعرَفُ بالزمكاني. هذا و«المكان في حركة أخذ وعطاءٍ مع شخصيات الرواية وأحداثها» (شاهين، 2001: 17). أحياناً مكان مغلق يكثر فيه الاضطهاد؛ ويقتل الأبرياء بالقذفة الصهيونية فتصبح المدينة دكناء تعمي الإنسانية وتثير الفتنوالبلايا: «ووراء الشّاطئ الأسود كانت يافا تحترق تحت شهب مذنبة من الضجيج الملتهب المتساقط في كلّ مكان. ونحن نطوّف فوق موج داكن من الصراخ والدّعاء».[4]

إلا أنّ موقف الرواية من مدينة يافا مختلف وأحياناً تصبح مكاناً مفتوحاً تتجلى فيه الحلاوة والسعادة قبل الهجمة لأنها مولدهم العزيز؛ و«مولد الإنسان امتداد لنفسه فإذا وصفت البيت والمولد وصفت الإنسان»[5] لذا نرى وصف يافا ممزوجاً بسعادتهم الضائعة التي تسودها غيوم الحسرة والحنين الممزج بالنوستاليجيا: «لقد ضاعت يافا أيها التعيس، ضاعت، ضاعت، وضاع فتحي – نماد السعادة–وضاع كل شيء».[6]

مع ذلك تقدّم الرواية رؤية عن وحشيّة الصهاينة في يافا وما تثيره في الحروب والإجرامات ضد الإنسانية «دون مراعاتها أو تلبيتها للإنسان الضّعيف والفقير»[7] كما أنّ الحرب أخيرا ابتلعت كيان الأسرة في يافا ونزعت من الأشخاص هويتهم العربية الفلسطينية وشرّدتهم حيث ولا تسمح لهم بأن يؤهّلوا شخصيتهم ويحقّقوا هويتهم الإنسانية. إذن تشير إلى مكان دمّر

---

[1] . صبري، حافظ، (1984)، الحداثة والتجسيد المكاني، مجلة فصول. العدد 5، ص 172.

[2] . كنفاني، غسان، (2014)، ص 17.

[3] . المصدر نفسه، ص 16.

[4] . المصدر نفسه، ص 36.

[5] . ويليك، رينيه، وأوستين وارين، (2008)، نظرية الأدب، ترجمة عادل علّامة، دمشق: مؤسسة ينانير، ص 288.

[6] . كنفاني، غسان، (2014)، ص 46.

[7] . حمدان، يوسف حسين، (2015)، الصورة و بنية الحكاية في قصيدة حفار القبور، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والإجتماعية. العدد 42، ص 1252.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بالقذائف والصّواريخ من قبل الصهاينة وربّما يرمز به الشاعر إلى الأراضي المحتلّة العربية التّي جلبت الحروب فيها الكثير من الدّمار حيث ما تركت مكاناً سالماً إلّا دمّر وقتل مواطنوها بمن فيهم الأطفال والعجائز والنساء لتشبع رغبات وأميال المستبدين والحكّام الطاغين: «وفي اليوم التّالي تماماً اشتعلت يافا كلّها، وأضحت المنشية ركاماً مسوداً لا تكفّ فيه أصوات الرّصاص، فمضت خالتي وجاءت بأمّي إلى بيتها».[1]

ج. الغزة:

تعتبر الغزّة مكاناً مُغلقاً مظلماً يستحضر مفهوم التشرّد والقمع والخيانة.كما تشير إلى مجتمع تفقد فيه القيم الإنسانية مكانتها الأصلية باعتبارها مجتمعاً مظلماً داكناً يجرِّب الصّراع بين الماضي الكريم والحال الضائعة تحت وطأة الجنود الصهاينة الّذي يجبر الشخصيات إمّا على الهجرة وإمّا على البقاء المذلّ تحت سطوة الأعداء والخونة: «هربت من غزة فقط، عرف أنه لن يعود. وبعيداً وراءه غابت غزة في ليلها العادي، غابت مدرسته بادئ الأمر، ثم غاب بيته وبقيت أضواء الشوارع معلّقة هنيهة، متعبة وواهنة، ثم انطفأت بدورها واحداً وراء الآخر».[2]

بما أنّ المكان و«هوية المكان تتمتع بالقدرة على خلق أو تعزيز عمل سياسي محدد من خلال خلق مشاعر محددة تجاه المكان الذي يعيش فيه الشخص».[3] نشاهد أنّ غزّة تلعب دوراً سلبياً للشّخصيات في الرواية حيث يجرّب كل من حامد ومريم أصعب التجربيات وأكثرها مرارة في غزّة التي أصبحت رمزاً للانقياد أمام العدوّ ولذلك فإنهما لم يستوعبا مشاعر إيجابية تجاه غزة: «كانت الأمور كلها في غزة تعمل في غير صالحي. وكنت أقف هنا بالضبط، في رقعة محاطة بالخسائر من كلّ جانب»[4] «وصهرك حامد يريد أن يترك غزّة»[5] «فهو حين غادر غزة أراد أن يهرب منك، فلماذا يكتب لك؟».[6]

د. الأردن:

بما أنّ الأردن تشارك الفلسطين في اللّغة والثّقافة والبنيات الاجتماعية أصبحت في الواقع ملجأً للشعب الفلسطيني المشرّد. هذا هو التصوير الذي يقدّمه كنفاني في الرواية حيث يربط حامد آماله بالوصول إلى الأردن. إذن ليست الأردن في الرواية سوى مكان أتوبيابي ربّما خلقه الشخصيات الخائبة –حامد ومريم–ليتسلّا بها لأنها الملجأ الوحيد الذي آوى والدتهم حيث يربط كل رجاهما بها: «ولكن بحق الإله، ما الذي يريد أن يفعله في الأردن؟ يذهب عند أمّه! ها!».[7]

تعالج الكاتبة معظم الموضوعات والقضايا المطروحة على الساحة الاجتماعية والسياسية، بذكاء واتقان وشعور مرهف، كما هي تعتني بفكرة الصراع الطبقي والاستغلال الاجتماعي، وحرية المرأة.

---

[1] . كنفاني، غسان، (2014)، ص 41.

[2] . المصدر نفسه، ص 9.

[3] . كاشي، حسين، (1392ش)، تبيين مدل هويت مكان–حس مكان و بررسى عناصر و ابعاد مختلف آن، نشريه هنرهاى زيبا. السنة 3، العدد 18، ص 47.

[4] . كنفاني، غسان، (2014)، ص 64.

[5] . المصدر نفسه، ص 12.

[6] . المصدر نفسه، ص 44.

[7] . المصدر نفسه، ص 45.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

3.1.3 الزمان:

تَمّ تَقديم عنصر الزّمن في هذه القصة لخدمة الأهداف الكلية للرواية إلا وهو بيان الظروف السيئة السائدة على الأراضي المحتلة. الزمن لا يمرّ بخط مستقيم لأن الانطباعيات والتيار اللاوعي للذهن قد غيّرت المسار المنطقي للأحداث والخط المستقيم للزمن. في الواقع أدخل المؤلف الاضطراب الداخلي الموجود في ذهن شخصيات القصة إلى عالم النص مستخدماً الانطباعيات والتيار اللاوعي للذهن. ونتيجة لذلك، تم تقديم رواية غير متكافئة ومفككة دون خط مستقيم. بعد تنظيم الرواية نشاهد أنّ القصة تبدأ من المساء الكئيب وتنتهي بالفجر وشروق الشمس.

أ. المساء:

في هذه الرواية يبطن في طيّاتها الاكتئاب حيث تبدأ القصة بوصف غروب الشمس وأضوائها المنخفضة الّتي بدأت تمحو خلف التلال. الشمس الّتي ترمز للحيوية والسعادة وقوة الحياة في الأدب، أخذت تختفي وما بقى من ضوئها يشبه شمعاً ينطفئ شيئاً فشيئاً: «وفي اللحظة التالية غاصت الشمس كلّها، وبدأت الخطوط المتوهجة التي خلفتها معلقة على حافة السّماء، تتراجع أمام جدار أشهب صعد لامعا بادئ الأمر وتراجعت وراءه المدينة–غزة– حتى استحالت إلى نقطة سوداء في نهاية الأفق».[1]

هذا الغروب الكئيب الذي يتحدث عنه غسان كنفاني لا يستحضر فقط إزالة النور وسيادة الظّلام الحالك بل يرمز للهيمنة الأجواء المضطهدة والقمع السياسي على المجتمع الفلسطيني كما أنّه بشكل غير مباشر يشير إلى أنّ الانتفاضة الوليدة للحركات السياسية الصغيرة الشعبية لا تستطيع بوحدها أن تبعث ضوء الأمل مادام أجواء السياسة العربية والإسلامية داكنة في هذا الفضاء المغلق. لأن الظّلام وظلال الموت المشؤومة بدأت تلقي بظلالها على الجميع. ومع غروب الشمس تختفي مدينة غزة وأرض فلسطين من القصة وراء الشخصية والتلال وكأنّ المساء هو الزمن الذي يحمل في قلبه غروب واضمحلال قوة الخلافة الإسلامية والحضارة العربية أمام الصهاينة: «تسلمت منه أوّل الكلمات وآخرها: سأغادر غزة مع غروب شمس اليوم»[2] «وبعيداً وراءه غابت غزة في ليلها العادي، غابت مدرسته بادئ الأمر، ثم غاب بيته و بقيت أضواء الشوارع معلّقة هنيهة، متعبة وواهنة، ثم انطفأت بدورها واحداً وراء الآخر».[3]

ب. اللّيل:

في هذه الرواية الّتي تحمل في طيّاتها الزمن النفسي هو زمن تحدث فيه الوعي والتفكر تحت جنحه المظلم.[4] لأنّ الزمن النفسي في الروايات المطبوعة بطابع الانطباعية «يؤثر في الشخصيات من خلال حركة الوعي التي تجعل الشخصية تتأثر وتستجيب

---

[1] . المصدر نفسه، ص 10.

[2] . المصدر نفسه، ص 20.

[3] . المصدر نفسه، ص 10.

[4] . ينظر: المصدر نفسه، ص 43-27-52-64.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بالاستمرار والحركة».[1] وليس هذا الوعي إلّا وليدة الأجواء الخانقة الّتي كانت سائدة على الأراضي المحتلّة/ بالطبع، يمكن أن يكون الليل استعارة عن الاستبداد والخفقان السّياسي وهيمنة الجهل الّتي تدعو إليه الصّهاينة: «وهو يخطو فيبدو أمام جدار الأسود المرتفع وراءه مباشرة حيواناً ضئيلاً يعقد العزم على رحلة دفء لا نهاية لها، مشحونة بالغيظ والأسى والاختناق وربّما الموت. أغنية اللّيل الوحيدة في جسد الصحراء.[2]

ج. الشفق:

يظهر دور الشفق بمفهومه الاستعاري في الرواية حيث الإنسياب المتواصل لأشعة الشمس يحرّك حامداً ومريم نحو الانتفاضة. حامد يصارع الجندي الإسرائيلي ومريم تقتل زكريا الخائن متزامناً عند طلوع الفجر. وبالطّبع، نظر غسان كنفاني إليه نظرةً إستعاريةً ليشير إلى الانتفاضة وثورة المستضعفين ضد الصهاينة: «وانبثق الضوء فجأةً، ومن جديد عاد الدم ينساب في عروق حامد مرة أخرى. وكان الجندي الإسرائيلي قداستسلم بجانبه مرهقاً»[3] «وفي اللحظة التالية، دخل خط رفيع من الشمس عبر النافذة وراء زكريا فبدا وجهه أشد غضباً وأعنف تمزّقاً. دفعته مريم نحو الحائط بكلّ ما فيّها من قوّة وسمعت صوت النصل يغوص في لحمه».[4]

2.3 التفسير:

1.2.3 أرضية الرواية السياسية والإجتماعية:

كتبت الرواية نتيجة إنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية والهجوم العدواني للقوات الإسرائيلية على الأراضي المحتلّة. تمثّل الرواية فترة 1950–1960 من تاريخ فلسطين وهذا التاريخ له دلالته الكبيرة في حياة الشتات الفلسطيني «فيه تحقق ظهور التنظيمات الفلسطينيه بتشكيلاتها العسكرية الضاربة، والسياسة المنظمة الّتي كانت الدعوة إلى الوعي».[5] تتحدث الرواية عن نكبة عام 1948م، التي أدّت إلى هروب وتشريد الشعب الفلسطيني من وطنهم؛ ليعيشوا لاجئين في أمصار الوطن العربي المجاور نحو سوريا والأردن .الظروف المؤدّية إلى عديد من الضحايا منهم الأطفال والشيوخ وكيان الأسرة والحضارة الإسلامية العربية في منطقة فلسطين. الستينات ليست سوى الزمن الذي لم تستطع البلدان العربية والإسلامية فيها مساعدة الشعب الفلسطيني وكان الشعب المشرد الفلسطيني مجبراً على الانتفاضة متكئين على قدراتهم دون العرب.

2.2.3 الوعي:

إذا تأمّلنا الوعي في هذه الرّواية نجد أنّ الوعي عملية تتكوّن شيئاً فشيئاً في حامد ومريم. تبدأ باستشهاد الأب في يافا وتنطلق شرارته الأولى بيد سالم، ثم خيانة زكريا المؤدّية إلى استشهاد سالم وانتهاك زكريا لعفة مريم تجعله يشتعل أكثر حتى يصل إلى

---

[1] . عبد العزيز، سعد، (1970)، الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، القاهرة: مكتبة آنجلو المصرية، ص 42.

[2] . كنفاني، غسان، (2014)، ص 20.

[3] . المصدر نفسه، ص 79.

[4] . المصدر نفسه، ص 87.

[5] . ميرحق، سعيدى وعلينجاد فاطمة، (1389ش)، دراسة في رواية ما تبقى لكم لغسان كنفاني، مجلة التراث الأدبي، السنة 2، العدد 6، ص 165.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

حد الانفجار وأخيراً بعد خروج حامد عن غزّة في وسط الصحراء يصل إلى البركان .حيث تصل مريم إلى الوعي في نفس الزمن في البيت: «قلتُ له حدث شيء لحامد هذه اللحظة، لقد أحسست ذلك في أعماقي. وفي اللحظة ذاتها دفعني الفراش فقمت وتحسستُ طريقي».[1] بما أنَّ مصير التّاريخ والمستقبل بأيدي الأناس وليس الأبطال والحكّام المبدعين الحقيقيين للتّاريخ بل الشّعوب العادّيون هم الّذين يقدّرون مصير التّاريخ. نرى الوعي المتجلي في شخصية حامد ومريم بصفتهما أناساً مستضعفين يدفعهم نحو القيام بالمكافحة والانتفاضة ضد العدو. إذن كنفاني يعتقد أنّ الشعب الفلسطيني مع استكانتهم لو تزوّدوا بالوعي سوف يثورون على الظروف وسوف يغيرون مصير مستقبلهم: «كنت مسلحاً بقدرتي على مفاجأته فقط. وأورثني هذا السلاح شعوراً بقوّة مجهولة تعمل إلى جانبي».[2] بعبارة أخرى، إنّ غسان كنفاني، يرى أنّ الوعي ينطبق مع كلية الرواية والرؤية الانتفاضية عندما يكون التوازن قائماً بين الذهن –الوعي– والموضوع –المجتمع–. الأمر الذي أكده لوكاش قائلاً «إنّ للوعي دوراً نشيطاً ومستقلاً، لأنّه في جدلية ثنائية الاتجاه مع المجتمع وهكذا ينتهي المفهوم الذهني إلى الوعي العملي».[3] إذن الوعي الذي جرّباه حامد ومريم رمز لوعي المجتمع الفلسطيني؛ حيث يخيف الصهاينة حتى يتخذوا موقفاً خشناً تجاهه فيدمّرون الواعي–سالماً– لأنّهم يدركون تماماً أن المجتمع الواعي يملك القدرة على تغيير وتطوير المجتمع. وعلى رأى كنفاني إنّ الوعي من الطرق المفضّلة الّتي سوف يخرج الشعب الفلسطيني عن لعنة المصائب.

3.2.3 المستقبل:

المستقبل الذي يرسمه غسان كنفاني في الرواية يحمل دلالات شتى تساعد القارئ على أخذ رسالة النص ألا وهو المستقبل الذي سوف يبنى بيد الشعب الفلسطيني دون الآخرين. بما أنّ الشعب الفلسطيني «بعد كارثة 1948 كانوا يتوقّعون أن يقام إتّحاد إسلامي عربي يخلّصهم من عبودية الصهاينة».[4] وإنّ شخصية الأم في الرواية ترمز لهذا الاتحاد لكن دون جدوى، ما حصل في عالم الواقع التاريخي لم يك سوى نكسة حزيران 1967 التي علّمتهم أن لا ملجأ لهم سوى الانتفاضة والاكتفاء بذاتهم. «لقد كانت أمّك بالنسبة لك دائماً فارساً غائباً.م فما الّذي تريده الآن من هذا الفارس الوهمي الذي أعطيته من فشلك وعجزك حصانه الخشبي التافه؟».[5] وبحسب نظرات بعض الفلاسفة مثل هيجل، الذي كان له تأثير كبير على المجامع الأدبية العربية وجوهر الأفكار الشيوعية، فإن «بلوغ الحرية يرتبط ببلوغ الوعي الذاتي»[6] نشاهد كنفاني يرى أن الوعي المكوّن في المجتمع الفلسطيني سوف يسوق الجيل القادم لكى يخلصوا بلدهم عن هيمنة الأشرار. إذن المستقبل الذي رسمه كنفاني يرفض الاتكاء على الآخرين ويشجّع الانتفاضة الداخلية المبنية على الوعي حيث تجلى في مواجهة حامد مع الجندي الصهيوني وتغلبه على العدوّ تحت أشعة الشمس التي ترمز للمستقبل النير: «ولمحتُ في وجهه– الجندي الإسرائيلي– الرعب

---

[1] . كنفاني، غسان، (2014)، ص 69.

[2] . المصدر نفسه، ص 50.

[3] . لوكاتش، جورج، (2006)، دراسات في الواقعية، ترجمة نايف بلّوز، الطبعة الرابعة، بيروت: منشورات مجد، ص 94.

[4] . الصالح، نضال، (2004)، نشيد الزيتون، قضية الأرض في الرواية الفلسطيني، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص 27.

[5] . كنفاني، غسان، (2014)، ص 49.

[6] . نراقي، احسان، (1379ش)، علوم اجتماعى و سير تكوينى آن، طهران: نشر و پژوهش فرزان روز.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

العاجز، فأدركت أنّه سيكون بوسعي ذات لحظة أن أجزّ عنقه دون رجفة واحدة وأنّ هذه اللحظة ستأتي لا محالة تحت الشمس اللاهبة التي تجلد موخّرتنا بلا هوادة»[1] إضافة إلى ذلك يعتقد كنفاني أنّ انتهاء الظلمة وإشراق ضوء الحقيقة على التاريخ، سوف يبيّن ويفتضح الإجرامات الإسرائيلية حيث يحكم الأجيال القادمة بالحق: «قلتُ له –الجندي الإسرائيلي–: ليس ذلك فقط، بل ربّما أنت الّذي قتلت سالماً وعلى أيّ حال سنترك ضوء الصّباح يكشف لي ذلك».[2]

4.2.3 القمع والحرب:

في مواجهة الصّهاينة، يعدّ الاضطهاد الإسرائيلي أحد المواضيع الرئيسة لرواية ما تبقى لكم حيث يمكن أن نقول إنّ هذه الرّواية ليست سوى ردّة فعل أدبي من قبل كنفاني للظروف السيئة السائدة على الأراضي المحتلة في عصره. الفلسطين التي تواجه كلّ يوم بل كل ساعة كارثة تبيد أبناء الشعب الأبرياء بأيدي الصهاينة الملوثة. تلك الفترة التي كانت الصهاينة تطفئون كل نهضة وحركة تدعو إلى المقاومة والانتفاضة كما هي الظروف اليوم وقد تجلّت في اغتيال واستشهاد سالم «ودخل إلى المطبخ، ومن هناك أبلغني لقد قتلوا سالماً اليوم وغداً يجيء دور أيّ منا».[3]

الملاحظة الجديرة بالذكر أن كنفاني كشف اللثام عن الخطة الصهيونية المشهورة بـ"فلسطينيين ضد الفلسطينيين" إستراتيجية صهيونية لقمع المقاومة الفلسطينية في الأراضي المحتلة و«تضمنت مضامين تلك الخطة تدريب أو تشجيع القوات الفلسطينية الخونة، ومواجهة هذه القوات المدربة مع المقاتلين الفلسطينيين عند اللزوم بطرق شتى».[4] إذ نرى زكريا يشري نفسه للصهاينة حين يعرّفهم على مكان الفدائي المجاهد سالم ثم يحاول أن يمنع حامداً عن اللحاق بأمّه–رمز للاتحاد الإسلامي العربي– وعائلته «لقد حاولت جهدي أن أمنعه على طريقتي الخاصّة، أنت لست غاضبة منّي؟».[5]

أيضا انعكست انتفاضة الحجارة في بطن الرواية حيث كانت الحجارة أداة الهجوم والدفاع التي استخدمها المقاومون ضد المحتلّين دون معرفتهم بأيّ سلاح أخر سوى الحجارة ضد الوضع المزري وإهانة الشعور القومي والقمع اليومي الذي تمارسه سلطات الاحتلال الإسرائيلي ضد الفلسطينيين. إذ نشاهد حامداً يصارع الجندي الإسرائيلي ويصارعه على الأرض و يأخذ أسلحته لكن لايعرف كيفية استعمال الرشاش: «وانتابني النّدم لأنّني أطرحت الرّشاش، ولكنّني على أيّ حال لا أعرف كيف يستعمل و ربما كان من الخير أن لا يستعمل».[6]

4. خاتمة:

1. بما أنّ هدف غولدمان يتخلص في أنّ هناك صلة وطيدة بين عالم الأديب والمجتمع الذي ينتمي إليه الروائي في فترة قيد البحث، فإن رواية ما تبقّى لكم تعتبر انعكاساً للحياة اليومية للمجتمع الفلسطيني في النصف الثاني من القرن العشرين.

---

[1] . كنفاني، غسان، (2014)، ص 83.

[2] . المصدر نفسه، ص 66.

[3] . المصدر نفسه، ص 54.

[4] . الصالح، نضال، (2004)، نشيد الزيتون، قضية الأرض في الرواية الفلسطيني، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص 44.

[5] . كنفاني، غسان، (2014)، ص 32.

[6] . المصدر نفسه، ص 62.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

لقد أحسن غسان كنفاني في هذه الرواية من تصوير رؤية الكونية للانتفاضة خلال احتلال الأراضي المقدسة والدفاع عن اللاجئين الضعفاء، لقراء اليوم الذين لا يعرفون تلك الفترة والجوّ السائد عليها فى العالم العربي.

2. نستطيع أن نعتبر ما تبقي لكم رواية تغيير واحتجاج لأنّ الغسان منح فرصة لشخصيات القصة لكى يُعبِّروا عن أنفسهم، فإن كل شخصية تحتج على وضعها المزري مهما كانت الظروف. ما تبقي لكم أيضًا رواية تحول. بعض الأشخاص في نهاية القصة ليسوا كما هم في البداية. إذ يلعب الوعي دوراً هاماً في تحولهم حيث عقب الأحداث يتحولون إلى أشخاص آخرين، وقد تجلّى التغيير والتحول في شخصيتَي مريم وحامد بطل الرواية البروبلماتيك.

3. معالجة قضايا أساسية سائدة على المجتمع الفلسطيني بما فيها الاحتلال العسكري، اغتيال واستشهاد المجاهدين، تشرّد اللآجئين في المخيّمات، التأكيد على الوعي والدعوة إلى الانتفاضة ضدّ الظروف المزرية المأساوية؛ كلّها قد جعلت من غسان كنفاني مُمثّلاً للفكر الانتفاضي في أدب المقاومة. لأنّه لم يبدع عالماً خيالياً جرّد عن الواقع بل خلق رواية تمتّ بصلة وثيقة ومباشرة إلى الواقع الفلسطيني. الواقع المزري الذي جرّبه كنفاني تجربة فطرية صادقة بسبب التّعايش مع اللاجئين.

4. مباني الرواية الأساسية بما فيها المكان، الزّمن، الشّخصيات والأحداث كانت في خدمة كليّة الرواية أي معالجة القضية الفلسطينية والانتفاضة الحجرية. بنيات الرّواية هي بنيات نمطية ونموذجية حيث تملك مفاهيم إستعارية بما فيها الاتحاد الإسلامي، الشعب الفلسطيني، الوطن، خطّة الفلسطين ضد الفلسطين والمرأة الفلسطينية.

5. قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

1. أبوجهجه، خليل ذياب، (2004م)، الرؤية الكونية في أدب ميخائيل نعيمة، الطبعة الأولى، بيروت: اتحاد الكتاب اللبنانيين.
2. ارشاد، فرهنگ، (1394ش)، كندوكاوى در جامعه‌شناسى ادبيات، طهران: نشر آگه.
3. باختين، ميخائيل، (1987م)، الخطاب الرّوائي، ترجمة: محمد برادة، القاهرة: دارالفكر.
4. ركيبي، عبدالله خليفه، (1977م)، القصة الجزائرية القصيرة، ليبيا: دار العربية للكتّاب.
5. الرويلي، ميجان، والبازغي، سعد، (2002م)، دليل الناقد الأدبي، الطبعة الرابعة، المغرب: الدار البيضاء.
6. زيما، پير، (1377ش)، جامعه شناسى رمان از نظرگاه گلدمن درآمدى بر جامعه شناسى ادبيات، ترجمة: محمد جعفر پوينده، طهران: انتشارات نقش جهان.
7. السعافين، إبراهيم، (1987م)، تطور الرواية العربية في بلاد الشام، بيروت: دار المناهل.
8. شاهين، أسماء، (2001م)، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات.
9. الصالح، نضال، (2004م)، نشيد الزيتون، قضية الأرض في الرواية الفلسطينية، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
10. عبدالحميد الموسى، أنور، (2011م)، علم الاجتماع الأدبي، الطبعة الأولى، بيروت: دار النهضة.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

11. عبد العزيز، سعد، (1970م)، الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، القاهرة: مكتبة آنجلو المصرية.
12. غولدمان، لوسيان، (1988م)، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، الطبعة2، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية لبنان.
13. _____، (1381ش)، جامعه شناسى ادبيات، ترجمة: محمد جعفر پوينده، طهران: نشر چشمه.
14. _____، (1382ش)، نقد تكوينى، ترجمة: محمد تقى غياثى، طهران: مؤسسة جامعة طهران للنشر.
15. كنفاني، غسان، (2014م)، ما تبقى لكم، الطبعة الثانية، قبرص: دار منشورات الرمال.
16. لوكاتش، جورج، (2006م)، دراسات في الواقعية، ترجمة: نايف بلّوز، الطبعة الرابعة، بيروت: مجد.
17. المسدي، عبد السلام، (1991م)، قضية البنيوية دراسة ونماذج، الطبعة الأولى، تونس: وزارة الثقافة.
18. نراقي، إحسان، (1379ش)، علوم اجتماعى و سير تكوينى آن، طهران: نشر و پژوهش فرزان روز.
19. ويليك، رينيه، وأوستين، وارين، (2008م)، نظرية الأدب، ترجمة: عادل علّامة، دمشق: مؤسسة ينانير.

- **الأطروحات:**

1. المحاسنة، إبراهيم أحمد، (2007م)، بنية الشخصية في أعمال مؤنس الرزاز الروائية دراسة في ضوء المناهج الحديثة، أطروحة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤتة، الأردن.

- **المقالات:**

1. إجماهيري، مصطفى، (1992م)، الشخصية في القصّة القصيرة، مجلة الموقف الأدبي، العدد 59، ص 1287-1301.
2. حمدان، يوسف حسين، (2015م)، الصورة و بنية الحكاية في قصيدة حفار القبور، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد 42، العدد 1، ص 1251- 1266.
3. صبرى، حافظ، (1984م)، الحداثة والتجسيد المكاني، مجلة فصول، العدد 5، ص 167-182.
4. كاشي، حسين، (1392ش)، تبيين مدل هويت مكان-حس مكان و بررسى عناصر و ابعاد مختلف آن، نشريه هنرهاى زيبا، السنة 18، العدد 3، ص 43-52.
5. كلر، جونو ثان، (1986م)، البنيوية وبناء الشخصية في الرواية، ترجمة: محمد درويش، مجلة الأقلام العراقية، العدد 6، ص 69-83.
6. ميرحق، سعيدي، وعلينجاد فاطمة، (1389ش)، دراسة في رواية ما تبقى لكم لغسان كنفاني، مجلة التراث الأدبي، السنة 2، العدد 6، ص 149-166.
7. نجفي، حسن، وأصلاني، سردار، (1399ش)، دراسة اجتماعية لرواية حفّار القبور الشعرية من بدر شاكر السياب (البنيوي التكويني)، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدبها، العدد ٥٦ ، ص 43- ٦٤.
8. _____، _____ (2020م)، دراسة قصيدة المومس العمياء من منظار النقد البنيوي التكويني، مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة 16، العدد 2، ص 205- 227.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- **المداخلات:**

1. جعفري هرندى، يعقوب، (1400ش)، بررسى منشأ از خود بيگانگى حقيقى از منظر عقل و نقل، المؤتمر الدولي السادس للعلوم الإسلامية والبحوث الدينية، جامعة طهران، إيران.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)